امرأة من الغرب

بقلم

يوسف يعقوب مراد

سألتني ان اعلمها ركوب الخيل ، فصدعت واطعت ، ولم يكن امامي غير الطاعة العمياء لارضي زوجة سيدي ! فرضى زوجة السيد معناه رضا السيد نفسه وان كان هذا يتوقف على مقدار التوافق بينهما !

ورحت ارافقها كل مساء .... تركب جوادها الابيض اللطيف، واركب انا جوادي الاحمر النشيط ، ونروح نتجول في الحقول والمزارع وعيني لا تكاد تفارقها ، فحصانها الابيض صعب المراس ، ولكنها تصر على ركوبه ، وتفضله على غيره من الجياد ، وان كانت تعاني الكثير من المشقة في كبح جماحه !

وزوجة سيدي هذه انكليزية من بنات التايمس . وبنات التايمس اما ان يصوغهن الله جميلات الى ابعد حدود الجمال ، واما ان يخلقهن قبيحات يعافهن النظر ، وزوجة سيدي هذه كانت من الصنف الاول ؛ امرأة تموج فيها الفتنة ، وكل جزء من جسدها قطعة فنية رائعة . واكثر ما يلفت النظر فيها ، عيناها الخضراوان واهدابها الوطف التي تضفي على وجهها ظلا خفيفاً ، ثم صدرها ، هذا الصدر الارعن المتعجرف ، الذي لا يعرف الهدوء والاستقرار ، وكأن هذه المرأة قد عرفت أي سحر لعينيها وصدرها على قلوب الرجال ، فهي اذا رأت رجلا ينظر اليها في اعجاب ارسلت اليه من عينيها سهاما تستقر في صميم قلبه ، اما صدرها الساحر ، فهي تتعمد ان تبدي اصوله لكل معجب .. ولشد ما عانيت سراً وكتماناً من جمال هذه الامرأة .

تصور يا صديقي شابا حار العاطفة ، طال عليه عهد الحرمان يرى امامه انثى فاتنة ، تلاعبه وتلاطفه ، وترفع من بينه وبينها كل كلفة ولا تحسب حسابا لوجوده اذا اشتاق نهدها الارعن الى الهواء ، واذ قفز من الثوب على حركة الجواد . اما اذا تعبت وانهكها الركوب تمددت على الارض ، وطلبت مني ان ادلك جسمها الساخن

تصور يا صديقي الثورة التي تقوم في نفسي ، والعاصفة التي تعصف بدمي ، والمرارة التي اشعر بها في فمي ، وانا ارى الفتنة مجسمة بين يدي ، ولكني لا اجسر على ان اتزود منها ، واروي حرماني الذي يعذبني ، واطفىء الظمأ الذي يحرقني ! تصور ذلك لتعرف اي عذاب كنت اعانيه في كتم عواطفي الثائرة !

لعل الثورة التي كانت تقوم في اعماقي وانا الى جانبها على العشب الندي ادلك جسمها البض قد طبعت آثارها في عيني وعلى قسمات وجهي اذ انها كانت تنظر الي بعينيها الخضراوين نظرة فاحصة طويلة ، ثم تنطلق فجأة تضحك ضحكة طويلة ناعمة يهتز لها جسمها بين يدي ، فتثور ثائرتي واروح اعصر جسدها بقوة تئن منها انيناً خافتاً وفي عينيها يلمع بريق هاد لا تشاهده الا في عيون النساء اللواتي يعانين ثورة هائلة !

ولم اكن اجهل سر هذا البريق ولكنني ما كنت اجسر على اظهار معرفتي له ، فازوجة السيد حرمة وحصانة ، وليس للتابع الأجير ان يمد يده الى املاك سيده ! هذه سنة فرضها مجتمع ظالم ، وقانون جائر !

وزوجة سيدي لم تعرف الامومة بعد ، على الرغم من مضي السنوات الخمس التي مرت على زواجها ، فكانت تحب الاطفال الصغار الى حد كبير وفي كثير من الاحيان كانت تستبقي عندها اطفال اصدقائها لترعاهم وتلاطفهم وتشبع حرمانها منهم .

وذات مساء .. خرجنا فيه راكبين ، وتوغلنا في اعماق دغل كثيف ، وعلى حين غرة ، سمعت صوت سقوط جسم وصيحة فزع خافتة فالتفت مذعورا ، واذا بسيدتي قد سقطت من على حصانها ، وانطرحت على العشب غائبة عن وعيها فخفق

بقلم متير حامد العامودى

سعادة القصور

امسية صيف جميل . . ذات نسمات باردة حلوة لو مرت بالنفس لكشفت عن احزانها وعبثت بعض العبث ؛ فجعلتها نقية صافية كأنها النبع . .

غير انها مرت ، وعبثت ، وانه لعبث الشيوخ وتحركت وانها لحركة ثقيلة متباطئة ، والليلة مقمرة صامتة ؛ والبيت قائم لا يهتز ؛ والفتاة واجمة تتأمل تعبث انامله ببعض الخروق ترتقها لتردها جاهزة ثوبا لهذا الاب العامل المسكين . يضرب على الحجر بقدوم ؛ فى حمارة تحرق الهشيم .

مسكينة . . وجه شاحب كأنه الورد امتدت اليه اليد فعبثت به ؛ ونظرات بعيدة عميقة كأنها نظرات الفيلسوف وسكون مروع يخنق حركات الاعضاء ولكنها دقيقة ولحظات ؛ تتكلم بعدها العين فتنحدر دمعة وتتحطم . ويتحرك القلب فيطول الشجن ويتقمص ألفاظاً واصواتاً فاذا هي تتحرك منها شفتان ناعستان نعس الطرف يجرى عليها حديث كأنه الالم يزفر ما يشبه الزفرات ؛ وتوأد الابرة في الخرقة ، ويهدأ كل شيء الا صوت يتكلم . .

هذا بيت حقير ؛ وهذا قصر منيف . ولكنها هوة عميقة اعمق من الظلام كأن آخر الدنيا فى آخر اطرافها ؛ يقوم على جانبها بيت ، وعلى جانبها قصر . . والطريق بينها ناعمة سهلة لا تعدو خطوات على الاقدام .

في هذا البيت تنام الاسرة في غرفة لا كالغرفة يسترها حصير ؛ وفي اطرافها ما يشبه الكراسي ولا كراسي . وهناك تنام الاسرة في غرف كالغرفة . . يسترها الرياش وتضطرب قلبي في شدة ، وقفزت من على جوادي ، واخذتها بين ذراعي وضممتها الى صدري ورحت اناديها ، ولكنها لم تتحرك . .

كانت مرتخية الجسم ، مغمضة العينين ، عارية الصدر ، فمددت يدي لامتار صدرها ، واذا بي احس بحرارته وطراوته فالتهبت عروقي ، وصاح فيّ حرماني ، واذا بشفتي تستقران على شفتيها ورحت اضمها الى صدري في جنون ، واذا بشفتيها تتحركان تحت شفتي ، وذراعاها يمتدان ليطوقا جسدي ، فاردت ان اطلقها من بين ذراعي وقد ملكني الفزع ، واذا بها تشدني اليها بقوة ، وتفتح عينيها ، وتبتسم لي ابتسامة ذهبت بخوفي وخجلي ! . . وطبعنا جسدينا على العشب الندي ، حيث عرفت المرأة لأول مرة !

وفي الايام الاخرى لم تكن سيدتي بحاجة الى تمثيل ذلك الفصل الطويل لتفهمني اشياء كنت اجهلها ! حتى شاء القدر ان يحرمني منها بعد اشهر ثلاث ، فرحلت مع زوجها الى لندن وبقيت انا اعيش بذكرى ايامنا السعيدة !

ودار الزمن دورته ، وذات يوم كنت فيه ازور عائلة انكليزية جاءت من لندن ، واذا بي أرى على المنضدة في غرفة الاستقبال حيث كنت جالساً ، صورة لسيدي السابق وزوجه الفاتنة ، وبينهما طفل يبدو على وجهه ما يبدو على وجوه ابناء الشرق من علامات يبتسم في غموض اهل الشرق ، وكأنه يبحث عن سر خلف مفاتيحه في بلاد شرقية بعيدة !

وشعرت بحاجتي الى هذه الصورة ، وظللت اكثر من نصف ساعة اقاوم رغبتي في امتلاكها ، واخيراً انتصرت رغبتي فيها ، فمددت يدي اليها في سرعة ، واخفيتها بين طيات ثوبي وعدت بها الى داري ، وكأنني قد عدت بانسان عزيز ظل بعيداً عني مدة طويلة !.

البصرة

يوسف يعقوب حداد

بالاثاث ، وتخيم فوقها اشباح سعادة ان صدق الناس انها سعادة .

وانت لو جريت مع نظرانها ، لوصلت الى القصر ؛ حيث تتعقد الانوار ؛ وتتكاثف الجلبة ؛ ويعلو الضجيج ، وانت لو عدت فالقيت عليها نظرة لرأيتها كئيبة ممرورة تنظر فتؤذيها مناظر ليتها لا تراها ، ولكنها تولد مع الصباح حين تستقبل الصباح ؛ وتموت مع النور حين تودع النور .. وتتحرك شفتاها ببعض الكلام فاذا هي تقول : ارحمني يا إله السماء . . أأموت كما تموت الشمعة ، يذهب الفقر بشبابي ويأكل الالم نفسي وتمزق الايام اثوابي ! ؟

أألقى كما تلقى الخيفة وفيّ نضارة من حياة ولمحة من جمال .. !؟

أأبكي حين يمر بعض الاتراب ، يخطرن بالمخمل والحرير وتعثر بما يشبه الخيش وليته كان الخيش ؟! تلك سعادتي يا إلهي : ان اعيش كما يعيش السعداء .

وفي لحظة قصيرة كلح الطرف رأت كابرى الحالم وكأن قطعة من ضباب مازال يتكاثف حتى يغدو شبحا يبتسم كأبناء آدم .

وارتدت خائفة مذعورة . . وكادت تسقط لولا ان قال : لاتخافي يا ابنتي لست عفريت الاطفال لكنني رسول سلام ، اطمئني قليلا وانصتي فلعلي بالغ بك ما ترغبين ، انت تشتهين القصر وليتك لم تشتهيه . وانت تريدين تلك النعمة وليتك لم تريديها غير اني لك عون فيما تشائين وتطلبين . . . تكلمي يا ابنتي ولا تخافي .

ــ انت تريد ان تحرمني من نعمة يعيشها السعداء ؟ تلك امنية طالما حلمت بها ، فهناك سعادتي . بربك خذني ؛ الى هناك ؛ الى ذلك القصر ؛ حيث أرى النور والبهجة والمرح والسعادة ! السعادة آه ! ليتها تتحقق

وكلح الطرف . كانت على الباب :

نساء ورجال يختلطون اختلاط الرمال ولكنهن نساء من نوع آخر ؛ يحملن في اعناقهن العقود ، ويلبسن في المعاصم اساور تخنق نور الكهرباء ، ولكنهم رجال من طراز جديد كأنهم الغربان في ذاك اللباس ، والالحان العذبة المرحة تختلط بالاصوات ، فاذا هي فوضى ، ولكنها فوضى عزيزة على خاطر وحبيبة الى نفس ، وينتبه الحاضرون ، فينقطع الصوت ، ويوقف العزف ، واذا الناس انظار دهشة ، وما تكاد الفتاة تلمس هذا حتى تستدير وتريد الخروج ، واذا فتى وسيم ينطلق من القاعة فيأخذها بيديه ويدعوها الى الدخول ــ ويطلب من العازفين متابعة اللحن ، ويعود الناس الى ما كانوا فيه . . وتطاوعه راضية قلقة فيأخذان مكانين في ناحية ثم يقول : اطمئني يا فتاتي ، فانا ابن صاحب القصر وانا صاحب الدعوة .

ــ هل انت !؟

ــ هل هنا لك شيء ؟ !

ــ لا . . لا . . لم اكن اعلم . لم اكن اعلم

ورفعت بصرها وجالت به جولات داخل القاعة ، وهي تكذب ولا تصدق .

وأثار ذلك دهشة لدى الفتى فلم يتكلم إلا وقد عادت فنظرت اليه .

ــ مالك مضطربة ، حائرة ؟! من تكونين ؟

ــ انا . . انا . . من اكون ؟ انا . . انا نفيسة .

وكان اسما لم تهضمه الطبقة الراقية . فعلم انها من هؤلاء البنات اللواتي يضربن في الارض عاملات ليحصلن على القرش غير انها كانت جميلة ، جميلة اكثر من هؤلاء من كدسن الاحمر والابيض ، متظاهرات بالفتنة ، متكلفات للجمال .

وكان الشوط قد انتهى . فالتف جولها الحاضرون واخذوا يتهامسون ، وشعر الفتى بالحرج فقال : اقدم لكم صديقتي الديمقراطية الآنسة هيفاء ؛ ولا تعجبوا من هذا الثوب الذي ترتديه . فانها قد عاجلها كتاب الدعوة وهي تزور بعض بنات الطبقة الوسطى ، وفي فلسفتها ان عليها ان تظهر بما يظهرن حتى لا يشعرن بالهوة .

وقام واخذ بيدها الى الشرفة واعتذر الى الناس بأنها تجلدت على المرض واتت . وان النسمات الحلوة تعوزها في مثل هذا الوقت وهناك دار حديث .

ــ ما هذا الشحوب ؟ هل انت مريضة ؟

ــ كلا . . كلا .

ــ اذن ، ما لك حزينة عابسة ؟ لم لا تضحكين وتلهين ؟ ! ألا ترحمين هاتين العينين وهذين الخدين ؟! نفيسة احدثيني